ان الصورة الجمالية لهذه القصة هي : **البرتقالة الجافة** ، ولها بعض من جوانب سيرة الكاتب الذاتية : عائلة تغادر عكا اثر الاحتلال الصهيوني الى لبنان ، وعندما يرى رب العائلة البرتقال في طريقه ، ينفجر باكيا . ولم يستطع احتمال خزي المنفى : بلا عمل ، بلا سلاح ، وبلا أمل (فقد حتى ايمانه بالله) ، يتمنى الموت ، وهكذا نجده يحتضر والى جانبه برتقالة جافة .

المنفي هنا هو اليائس ، الانسان الذي حارب ، والذي اقتلع ، وافرغ من جوهره الانساني مثل ثمرة انتزعت عن غصنها . حتى الله يصبح في نظره منفيا ، بعد ان اضاعه خلال الرحيل : « لم اعد اشك في ان الله الذي عرفناه في فلسطين قد خرج منها هو الاخر ، وانه لاجيء في حيث لا ادري ، غير قادر على حل مشاكل نفسه ، واننا نحن ، اللاجئين البشر ، القاعدين على الرصيف منتظرين قدرا جديدا يحمل حلا ما ، مسؤولون عن ايجاد سقف نقضي الليل تحته »(٥٤) .

بالنسبة لموضوعة **الشعور المعذب للمنفي** ، نجد هنا تغيرا هاما لها ، الا وهو كبرياء المنفي الذي يفضل الموت على الخزي .

ولكي نلخص اعمال غسان كنفاني لفترة سنوات الخمسين ، سبق وقلنا انه كان يبحث عن تحديد ايديولوجي . لقد كتب كنفاني معظم هذه القصص بين سنتي ١٩٥٦ ، ١٩٥٩ في دمشق والكويت ، اي عندما كان يعيش تجربة المنفى ، وفي نفس الوقت كان يعمل على تثقيف ذاته . زوده هذا التثقيف الذاتي بموقف ازداد اكثر فأكثر وضوحا الى ان اصبح ماركسيا ــ لينينيا مناضلا .

وهذا ما قالته زوجه حول سنواته في الكويت : « تابع غسان عمله السياسي خلال السنوات الست التي قضاها في الكويت ، وكان يعلم الرسم والرياضة . وفي الحقيقة ، تشهد هذه السنوات بأهميتها العظيمة في حياته ، اذ كان يمارس اثناء فراغه الرسم والكتابة والقراءة ــ قراءة الاعمال السياسية ، خاصة ماركس ، انجلز ، لينين .. وغيرهم »(٥٥) .

(ب) بيروت : اول اشارة لفهم عميق

ب ١) رجال في الشمس

في سنة ١٩٦٠ اتى غسان كنفاني بيروت ، وعاش حياة غير مستقرة : دون جواز سفر ، ولا اذن عمل ، ولا مصدر مالي يعتمد عليه ، رغم عمله في جريدة الحرية ، وكان يشكو فوق هذا من مرض السكري . وقد عكست اقامته الاولى في بيروت شعور عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي الذي اتسمت به هذه المرحلة في دمشق والكويت ، ولكن بشيء من تحديد النظر ، والبحث عن جواب لأسئلته .

من هنا كانت رواية « رجال في الشمس » الذي كتبها غسان كنفاني مختبئا سنة ١٩٦٢ ، لتأزم الوضع السياسي آنذاك . نفس الموضوعة تسيطر دوما ، أي **شعور المنفي المعذب الذي ينعطف الى الوراء** ، ولكن بشيء متطور أكثر نحو اكتشاف حقيقة المنفى ، وصلب الالم ، ليجد الفلسطيني خلاصه .

وقبل ان نعرض الجوانب الاخرى لموضوعة المنفى ، أي الدوافع التي أعطتها ، كذلك الصور التي عكستها ، يجدر بنا ملاحظة ما سبق لنا قوله عن قصة « أرض البرتقال الحزين » ، عندما اعتبرناها رواية صغيرة ، أي رأينا فيها ممرا نوعيا الى الرواية ، وهذا ما أعطى بالفعل رواية « رجال في الشمس » . ولو دققنا النظر لوجدناها